



آخر ترجمات الراحل رؤوف عباس
هل تستطيع «الأمم المتحدة» إنقاذ حياة البشر؟

6 ديسمبر 2008

القاهرة - محمد حسان

تعود فكرة إقامة جمعية عالمية للبشرية إلى مئات -إن لم يكن آلاف- السنين. ويزعم البعض أن فلاسفة الصين القدماء، أو حكماء الإغريق كانوا يناقشون في هذه العصور السحيقة فكرة إقامة نظام عالمي.

وعلى مدار التاريخ، وخاصة في أعقاب الحروب الدموية الكبيرة، ظلت الفكرة تتقدم وتراجع، ولكنها ظلت حلماً يراود العديد من الفلاسفة والساسة ورجال الدين.

ومع مجيء القرن العشرين الذي شهد تطورات فريدة في تاريخ البشرية اتجهت الدول القومية التي استطاعت خلق حدود مستقلة على المستوى السياسي والجغرافي إلى العمل معا وتدرجياً لإقامة منظمات دولية لدعم السلام، وكبح العدوان، وترتيب الأمور الدولية، وتشجيع التنمية الاجتماعية، وغير ذلك من الأمور التي يفترض أنها تهم بني الإنسان المجتمعين في دول قومية منفصلة.

وأكثر الهيئات التي استطاع البشر صياغتها هي منظمة الأمم المتحدة التي تأسست عام 1945 على أيدي الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية والتي ورثت -المنظمة الجديدة- الكثير من ملامح التجربة الأولى في ميدان التعاون الدولي والتي تمثلت في عصبة الأمم.

رحلة تطور الأمم المتحدة عبر ستة عقود هو موضوع كتاب «برلمان الإنسان: الأمم المتحدة الماضي، الحاضر، المستقبل» للمؤرخ الأمريكي البريطاني الأصل بول كيندي، والذي كان آخر ترجمات الراحل د. رؤوف عباس كأنما أراد أن تكون آخر أعماله ذات رسالة عالمية تهم القارئ العربي كثيراً. حسبما ذكر عباس في تقديمه للكتاب، حيث كان المحفز له لترجمة الكتاب هو افتقار المكتبة العربية إلى مراجع شاملة تتناول «الأمم المتحدة» تناولاً شاملاً منذ نبتت فكرة العمل الدولي في أذهان بعض المفكرين والساسة حتى وصلت إلى إنشاء المنظمة العالمية الأكثر استمراراً حتى الآن، فما يوجد لا يتجاوز فصولاً مختصرة في بعض الكتب الدراسية في القانون الدولي أو العلوم السياسية أو التاريخ.

والكتاب -الذي تقع ترجمته العربية في 444 صفحة من القطع الكبير- ثمرة جهد فريق من الباحثين شاركوا في مشروع أعدده قسم «الأمم المتحدة» بجامعة بيل الأميركية بالتعاون مع مؤسسة فورد استغرق إعداده عامين 1993-1995 وتآلف هذا الفريق من باحثين في القانون الدولي، والعلوم السياسية، والاقتصاد، والاجتماع، والتاريخ. ونشر التقرير الخاص بهذا المشروع عام 1995 تحت عنوان «الأمم المتحدة في نصف القرن الثاني من عمرها»، وقد قام المؤلف بعد ذلك بالعمل على الكتاب بمساعدة بعض من عمل معه في التقرير السابق، إلى جانب بعض خبراء المنظمة، وقاموا بمسح كل المصادر التي تتصل بالموضوع من قريب أو من بعيد، واستمعوا إلى العاملين بالأمم المتحدة في مختلف الميادين، ثم عكف كيندي وحده على الكتابة أكثر من عام ليصدر الكتاب في طبعته الأولى أواخر 2005.

ومؤلف الكتاب هو المؤرخ بول كيندي البريطاني الأصل الأميركي العمل والإقامة، ولد في شمال إنجلترا عام 1945، ذاعت شهرته عندما نشر عام 1988 كتابه الذي حمل عنوان «قيام وسقوط القوى الكبرى 1500-2000» حيث قدم

كيندي نظريته الخاصة بسقوط الدول الكبرى الذي أرجعه إلى اتساع رقعة الإمبراطورية، واضطرار القوى الكبرى إلى الاحتفاظ بقوات عسكرية كبيرة تحت السلاح وتعمل في ميادين مختلفة، مما يشكل حملاً ثقيلاً ينوء تحته اقتصادها، ويترتب على ذلك تفككها، وتنبأ بأن يشهد ختام القرن العشرين تفكك الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي. وجذبت هذه الرؤية الأنظار عندما سقط الاتحاد السوفيتي وأنظمة أوروبا الشرقية خلال عامين من صدور الكتاب الذي ترجم إلى 23 لغة، وبيعت من طبعته الإنجليزية وحدها مليون نسخة، وأصبح كيندي مؤرخاً ذائع الصيت في العالم كله.

وهو يشغل كرسي الأستاذية في التاريخ بجامعة بيل، ويركز على التخصص في الشؤون الدولية مع التركيز على الجانب الاستراتيجي. وقد عمل مستشاراً للرئيس الأميركي بيل كلينتون، ولبطرس غالي إبان توليه الأمانة العامة للأمم المتحدة، ويتولى الآن إدارة مشروع جامعة بيل للأمن الدولي. وقد ألف خمسة عشر كتاباً، ويعد «برلمان الإنسان» آخرها.

يصف كيندي كتابه بأنه «تاريخ فكري» للأمم المتحدة فهو يهتم بالأفكار التي نبعت منها السياسات العامة للمنظمة العالمية ومخرجاتها، يفتح الكتاب بمقطع من قصيدة للشاعر الإنجليزي ألفرد تينيسون، كتبها عام 1837 تحمل عنوان «لوكسلي هوم» - وهو اسم لمكان مهجور في لندن- تتحدث عن مستقبل العالم بحس تنبؤي عن حروب جوية، واختراعات مدمرة، وعن حلم بالتوافق إلى كيان عالمي يضع حداً لتدمير البشر لتقيم «برلمان الإنسان».

وتذكر الملاحظة التي تتبع القصيدة أنها كانت بالغة التأثير على نطاق المتحدثين بالإنجليزية، وظلت تحمل هذا التأثير لتستقر في مرور قرن أو أكثر في حافظة نفود سناتور أميركي يدعي هاري ترومان أصبح فيما بعد في أبريل 1945 من الذين اتخذوا قرار إقامة نظام عالمي جديد، فعندما سأله بعض أعضاء مجلس الشيوخ ومعاونيه أثناء مؤتمر سان فرانسيسكو- الذي انعقد في أعقاب الحرب العالمية الثانية- عن مدى التزامه بإقامة منظمة دولية أخرج قصاصة القصيدة من حافظته وقرأها على سألبيه، في مشهد رومانسي تغيب فيه شخصية ترومان صاحب قرار إلقاء قنبليتي هيروشيما ونجازاكي التي أودت بحياة آلاف من البشر عبر أجيال متعاقبة، ليبدو ترومان آخر ظل يحمل حلم البرلمان العالمي لسنوات حتى أتيت له فرصة تحقيقه.

هذه اللغة الرقيقة التي استعملها كيندي في ملاحظته حول عنوان الكتاب تتجلى بأشكال مختلفة عبر فصول الكتاب وكما يذكر د. عباس «... حرص المؤلف أن يبدو محايداً في تحليله للكثير من مهام الأمم المتحدة، فيما عدا ما يتصل منها بالشرق الأوسط» إذ يسهب كيندي في رصد اعتداءات كثيرة عبر مختلف أنحاء العالم، ولكن تتلاشي هذه اللغة الرائدة عند الحديث عن إسرائيل أو تتحول إلى الحرص الشديد في انتقاد السياسات الأميركية!!

ولكن هذا كما يعقب المترجم لا يقلل من أهمية الكتاب الذي يشمل ثلاثة أقسام، يروي الأول منها قصة الخطوات الأولى لحكومات البشرية في الطريق إلى الاتفاقات الدولية، ويلقي الضوء على المفكرين والمواطنين الذين أثاروا فكرة الحاجة إلى تعاون عالمي واسع النطاق، وصولاً إلى تكوين وتطور عصابة الأمم المؤسسة المتداعية، والتي قامت على أنقاضها -وورثت تركتها- المنظمة الجديدة.

ثم يتعرض للقسم الثاني من الكتاب الذي يشتمل على ستة فصول تعالج المظاهر الرئيسية لرسالة المنظمة الدولية، وكيف تمت خدمة كل هدف من أهداف المنظمة، ومستوى تلك الخدمة في العقود الواقعة بين نهاية الحرب العالمية الثانية والوقت الراهن. فيما يشمل القسم الثالث تصوراً حول دور الأمم المتحدة المستقبلية، وي طرح إجابة لتساؤل فحواه هل نستطيع أن نجعل المنظمة الدولية الوحيدة قادرة على أن تعمل بشكل أفضل كي تساعد البشرية على شق طريقها في القرن الحالي المضطرب، حيث إن جانباً كبيراً من تاريخ القرن العشرين يعتمد على الاستجابة لهذا التحدي.

<http://alarab.com.qa/details.php?docId=65314&issueNo=348&secId=18>